بسم الله الرحمن الرحيم

أصول وحضارات سودانية

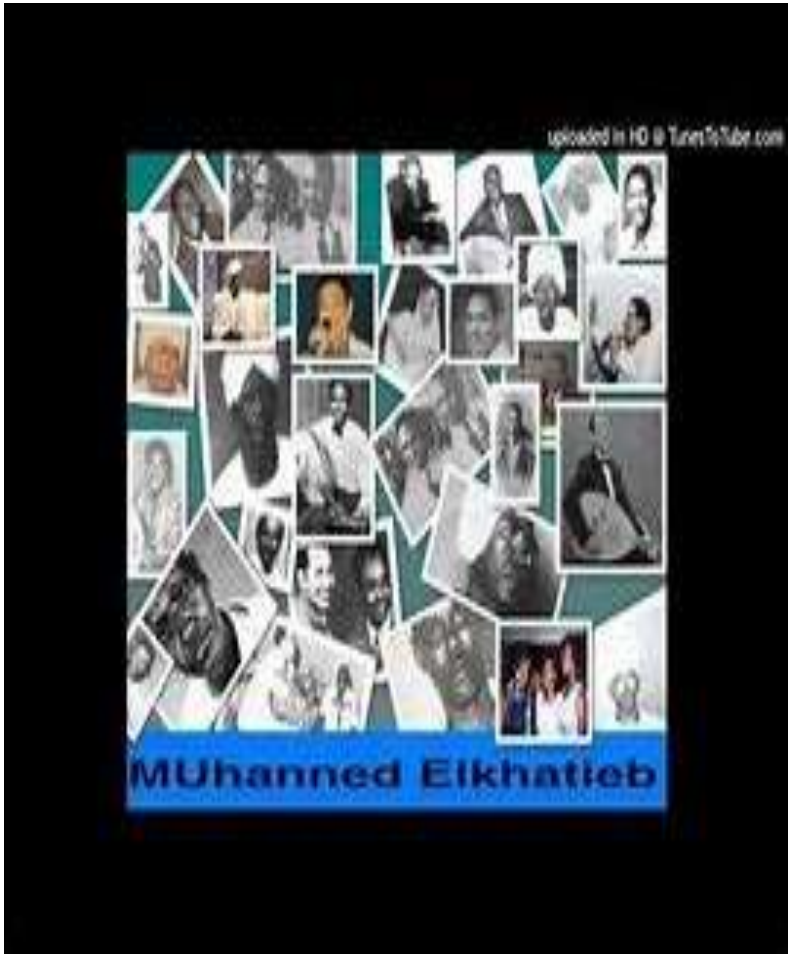

أصول وحضارات سودانية

تـــاريخ حقيبـــة الفـــن

العصـر الذهبـي للغنـاء السودانـي

روائع من حقيبة الفن والعصر الذهبي

أمير شعـراء الحقيبـــة

جامعة العلوم والتقانة

محاضرة رقم (11)

د/ أحلام إبراهيم عبدالله

روائع من حقيبة الفن والعصر الذهبي

- في الفترة ما بين (1910 – 1950م) وعلى مدى هذه الأربعة عقود كانت فترة زاهية ظهرت فيها إبداعات ومواهب في الشعر والغناء وبعض التطور في الآداء، وتم تسجيل بعضها في اسطوانات بمصر.
- في هذه الفترة ظهرت أعمال شعريه وفنيه وألحان على مستوي رفيع والدليل على ذلك أنها لاتزال تحتفظ برونقها وألحانها وتنافس كلماتها، بل وتتفوق على الكثير من الأعمال الشعرية والفنية التي جاءت بعدها.
- ولما كان من أهداف جامعة العلوم والتقانة الاحتفاء بكل الإبداع والمبدعين في بلادنا وتوثيق الإبداع وأعمال المبدعين وحفظها للأجيال التالية.

- ومن خلال رصدنا ومتابعتنا لشعراء ومبدعي فترة حقيبة الفن وما تلاها من جيل العصر الذهبي فقد قام مركز البرير الثقافي برصد وتوثيق الإبداعات والمبدعين من شعراء ومطربين عمالقة وتكريم لعدد مقدر من كباروعمالقة الشعراء والغنائيين وفي مقدمتهم عميد الفنانين أحمد المصطفي، والمبدع الفنان عثمان حسين وفنان إفريقيا الموسيقار محمد وردي والفنان الكبير سيد خليفه، وعثمان مصطفي وبادي محمد الطيب، وفيهم من الشعراء الكبار مصطفي سند وعبدالله النجيب ومحمد يوسف موسي والتيجاني حاج موسي وحسن الزبير وأبوقطاطي وأبوصلاح متمثلاً في ابنه بدوي، وكامل عبدالماجد ومختار دفع الله وصلاح حاج سعيد وتاج السر عباس.
- يحتفظ مركز البرير الثقافي بما يزيد عن الثمانمائة حلقة وندوة مسجله بصوره وصوت من هذه المنتديات النادرة وهذه تعتبر ثروة ضخمه متوفرة في طيات إلكترونيات جامعة العلوم والتقانة

- الحديث يطول.. ويبقي ذو شجون تنادي بعضها البعض وتلفها الدهشة وترتوي عجباً وتعجباً فمعظم أو كل شعراء الحقيبة في عصرها الزاهي لم ينالوا من التعليم إلا قليلاً.. بل كان القرآن والخلاوي وبعض ابتدائيات المدارس ولكن أنظر للمفردات والمعاني والنظم والموسيقى.. والطهر والأدب وثقافات ونبل أخلاق نابع من البيوت والتربية.. ولأن شعراء الحقيبة الذين عاصروا بعضهم كانوا احباب وكانوا مدارس لبعضهم البعض وناصحون وموجهون ومكملون.. لأشعار بعضهم ومشجعون للأعمال الجميلة.. فلا حسد ولا حقد ولا بغضاء.وسنتعرض في كتابنا هذا لبعض الأمثلة.. فهذه قصيدة تناولها عدد من الشعراء في أواخر عصر الحقيبة وبدايات العصر الذهبي (ميلاد أكثر من قصيدة).

حكاية قصيدة

- يحكي أن في حي المسالمة بأم درمان تعيش إحدى الحسناوات وكن محتشمات ولا يغادرن منازلهن إلا نادراً، وكتبت فيها عدة قصائد منها (ظبية المسالمة) و (لي في المسالمة غزال نافر بغني عليهو).
- وقيل ذات يوم فتحت هذه الحسناء باب البيت لتدلق ماء غسيل خارج المنزل فوقع نظر الشاعر الشاب (عبيد عبدالرحمن) عليها، وما أن رأته حتى أسرعت وأغلقت الباب واندست خلفه.
- ذهب (عبيد) إلى قهوة تجمع الشعراء وجلس مبهوراً بالجمال وشرب فنجان قهوة وراح يحكي لبعض أصدقائه ما رآه ومنهم (سيد عبدالعزيز) فقال عبيد: (حاول يخفي نفسه وهل يُخفي القمر في سماهو) فرد عليه سيد عبدالعزيز الذي ركز مع وصف عبيد لهذه الحسناء فقال له (أبداً لا.. وطبعاً لا.. شفناه.. شفناه.. حاول يخفي نفسو وغيّر إتجاهو.. سطع النور في أفقو وكل إنسان رآهو.. خلنا البدر أشرق كامل في ضياهو.. وخلنا الزهر فتح من أنفاس شذاهو)..

الشاعر عتيق سمع الكلام وأصر على رؤية هذه الفتاة فذهب إلى حي المسالمة وعسكر جوار المنزل في أحد الدكاكين إلى أن رآها وهي خارجه ذات مره من البيت وذهب إلى القهوة ولاقي (عبيد وسيد) الذين وصفوها بالقمر والزهر فقال لهم والله إنتو ظلمتوها ثم كتب:

"الأوصفوك (بالبدر) أو (بالزهر) هم ما أنصفوك..

كوكب منزّه في علوك ... يبرق سناك في غيهب الليل الحلوك

أدبك هبه.. وفيك موهبه ... حسن الظبا ... وطبع الملوك

يا جميل

كيف يجهلوك.. وعلي الجمال العادي راحو يمثلوك

ولو بادلوك عين الحقيقة ... وبالبصيرة تأملوك ...

بالنور أو بالنار أو بي قدر ما طاق الخيال ما عادلوك

يـــا جميـــل

سحرك قريب.. شخصك بعيد

لو كان قريب أنوارو آخذه بدون سلوك

يبرق سناك في غيهب الليل الحلوك

أظرف شمايلك زاملوك وهم أكملوك

أدبك هبه.. وفيك موهبه ... حسن الظبا ... وطبع الملوك

يـــا جميـــل

أنظر لهذه القصيدة الرائعة تناولها ثلاثة من فحول شعرائنا بهذه الصورة البديعة بعدة صور أظهر فيها كل منهم قدراته وإمكاناته الهائلة.

أميـر شعـراء الحقيبة

- يتزين الحديث وتتأدب الحروف والكلمات عندما يكون الحديث عن أمير شعراء الحقيبة، صالح عبدالسيد أبوصلاح وهو من مواليد أم درمان الموردة عام 1890م، تعلم القراءة والكتابة والقرآن في خلوة الشيخ مكي حسن حسين، ثم التحق بمدرسة الأمريكان (وادي سيدنا الآن) ثم مدرسة الوابوراتتعلم الصناعة (نجارة) وبدأ بكتابة الشعر وعمره (14 سنه)
- وكان يقرأ متأثراً بابن الفارض وابن أبي ربيعه واليمني وبرده القصري انتقل للعمل بخزان سنار قبل الحرب العالمية الثانية، وصفوه في كتاب روائع أغنيات الحقيبة (للجقر) بأنه أول شاعر غنائي سوداني وقيل إنه وصِف بذلك نسبة لدقة وصفه وتعابيره، وتسبيك القوافي والمفردات المتميزة حيث قال عنه الشاعر المقتدر المعتق محمد البشير عتيق أنا سعيد بانتمائي لمدرسة أبوصلاح فهي تمتاز بالأوصاف الجمالية والمعاني الحسية، توفي يوم 30/10/1963م

- كتب أبوصلاح مئات القصائد منها ما انتشر ومنها ما لم ينشر ولكن من أميز وأشهر أعماله.
- غزال الروض، الجوهر صدر المحافل التي سمي عليها ديوانه، يا ليل أبقالي شاهد علي نار شوقي وجنوني، قلبي هام مالو، شوف العين قالت دلا لا، أجسامنا ليه جسمين، يا سمير بي نظرتك أوفي الميعاد، وبدور القلعة.
- ويحكي أن بدور هذه من حسناوات حي القلعة بأم درمان وفي إحدى المناسبات كان أبوصلاح حاضراً وكان يعاني من حول في إحدى عينيه نظرت إليه بدور وعلقت على ذلك الحول في عينيه فكانت..

العيون النوركن بجهرا ..... غير جمالكـن ايه السهّرا
يــا بــدور القلعة وجوهــرا
السيوف ألحاظك تشهرا ..... على الفؤاد المن بدري إنهرا
أخفي ريدتك مره وأجهـرا ..... نار غـرامك ربك يقهـرا
صيده غيرك ايه الجسّـرا ..... تستلم أفكارنا وتـأســـرا
حال محاسنك مين الفسّــرا ..... يالثريـا الفوق أهـل الثـرا
الشعـــر أقدامك ستــرا ..... لقطيبو قلوبنا البعثـــرا
جارحه صالح كل ما يحضرا ..... وفي مدينة الجوف ساكن الضرا
يــا بــدور القلعة وجوهــرا

وهذه أيضاً لوحه فنيه رفيعة تجلت فيها قدرات وابداعات الشاعر أبوصلاح.. وهي:

" ياسمير بي نظرتك أوفي الميعاد"
ياسمير بي نظرتك أوفي الميعاد ... العيون الشافتك ما أسعــدا
من هواك أنا جسمي دائماً في ارتعاد ... أما نومي الفرّ ما منظور يعاد
يانُسّيم نومي فّر وزاد عناد ... استعد أصبح عليـك الاستنـاد
اجتهد في السرعة زي قدح الزناد ... تلقي سياف لحظو صاحي وطرفو ناد
"احتفل بو ولفو بي توب النـــدا"
قولّو يالمكحول طبيع من غير سماد ... يا أب صديراً شال ثمارو وخصرو ماد
لو لحاظ عينيك أصاب راسي الجماد ... غير شك دك الحجارة وهمّـــدا
ليلي طال عتّم نشر توب الحداد ... من نجومو إتوشح الدرر الجداد
طرفي ساهر يتلو آيات الوداد ... الشجر أقلام جميع والنيل مداد
"لو كتب أشواقي ليك ما عــدّدا"

وهنا نقول إن عملاق إفريقيا الموسيقار محمد وردي وبرغم أن معظم المطربين العمالقة تغنوا بالكثير من أغنيات الحقيبة إلا أن وردي لم يختار إلا أغنيه واحده من أغاني الحقيبة وهي من كلمات شاعرنا أبوصلاح وأدخل عليها موسيقي وأوركسترا ضخمه تحسيناً وتجميلاً للحنهاالثابت وهي " قسم بي محيك البدري غرامك منو ضاق صدري"ويقول فيها

المحي نور ليلة القدر .... نصب قوس حاجبو لي غدري

معاك في داخل الخِــدر .... فؤادي المالكو من بـدري

حياتي ونعمتي ويسري .... رضيت لو يرضي بي أســـري

فرض يا دموعي تنتثري .... إذا منـو النسيـم يسـري

حمام الأيك والقُمري .... يصيح ينبيك عن أمـــري

وبين عواسلك السمُري .... روايحي وفاكهتي وخمري

ومن أعماله التي تؤكد قدراته الشعرية:

- غرز نشابو.. شايله قلبي وين ما شابو.. مجروح.. العشاق عليك يتشابو.. والأطفال في حبك شابو.. لىْ سهم العيون نايشابو.. والغي فطره قلبي نشابو.. وبهذا القدر اليسير جداً.. والجميل جداً الذي يحكي ويصور صوراً من أعمال أبوصلاح.. ننتقل إلى مبدع آخر من مبدعي وفرسان الحقيبة.

فنانين العصر

الشاعر سيد عبدالعزيز

- وهو من أميز فرسان شعراء حقيبة الفن كتب العشرات والمئات من القصائدالتي لا تزال تشنف الآذان سواء من مطربي حقيبة الفن أو من فناني العصرالذهبي أو عصرنا المليء هذا بالصخب والزخم مما يؤكد أن لقصائده وقعهاوإيقاعها وهنا نتحدث قليلاً عن هذا الفارس ونأخذ نماذج من قصائده الشهيرة

من هو الشاعر سيد عبدالعزيز؟

- أولاً هو عبدالمحسن عبدالعزيز ولد بأم درمان في العام 1905م من أب تركي وأم سودانية من دارفور كان والده يناديه باسم (سيد) تيمناً بأخيه فسار عليه اسم سيد عبدالعزيز تعلم القليل من القراءة والكتابة والقرآن الكريم ثم عمل بزريبة المواشي بأم درمان التحق بورشة سودان مركنتايل حرص علي تعلم اللغة الإنجليزية.. مما ساعده للعمل بمصلحة النقل الميكانيكي باقتدار ثم تم نقله للأبيض منذ عام 1954م وحتي 1967م ثم عاد لمواصلة عمله حتى التقاعد في عام 1972م. يتميز بمعاصرته أكثر من مدرسه شعريه فترة الحقيبة وفترة ما نطلق عليهاالعصر الذهبي أو المدرسة الوترية بدخول الآلات الموسيقية على الغناء حيث تغني بأشعاره أساطين الحقيبة الحاج محمد أحمد سرور وكرومه وإبراهيم الكاشف وأخيرا كان الشاعر عبيد عبدالرحمن من أعز أصدقائه وأقرب الناس إليه.

ومن أميز وأشهر أعماله الشعرية:

- قصيدة (يابت ملوك النيل.. يا أخت البدور مين لي عُلاك يميل في البدو والحضور..) وقد تغني بها أخيراً من مطربي العصر الذهبي الفنان عبدالكريم الكابلي.
- ومن أعماله صباح النور عليك يازهور.. صباحك يوم يقاس بدهور.
- وافتتان.. وأنت عارف أنا بحبك وبحلف بك ولا ماك عارف بالمرة.. للكاشف.
- وأغنية الجمال والحب في بلادي.. وأقيس محاسنك بمن الدرة الماليك تمن إنت نور عيني ونور الزمن.
- ويامداعب الغصن الرطيب.. ونظره يالسمحة أم عجن.
- وياحليف الصون فلتدم في علاك إنت زول محصون ولا إنت ملاك " غناها الجابري أخيراً".
- ومن حور الجنان هل أنت إنسان الكمال؟ أم أنت الملاك جيت توري الناس الجمال.

ولعل من أميز ما كتب هذا الفارس الشاعر قصيدة قائد الأسطول الشهيرة التي كتبها في إحدى حسناوات حي المسالمة وهي تخرج متقدمة زميلاتها من المدرسة.. نقتطف منها:

يا قائد الأسطول.. تخضع لك الفرسان

يا ذا الفخار والطول أرحم بني الإنسان

مين لي سماك يطول ما بطولك اللمسان

معناك شرحه يطول والله يا إنسـان

أصدِق كفانا مُطول ياذا الحسن إحسان

أنا عقلي بيك مختول والناس عقول ولسان

- وكتب سيد عبدالعزيز العشرات من القصائد الشعرية الجميلة المغناة من فناني الحقيبة وفناني العصر الذي تلاها شعراء عصر الحقيبة كما ذكرنا في الفترة من (1910م ـ 1950م) كانوا كُثر وكانت قدراتهم فائقة وأشعارهم متميزة.

عمر محمد عمر البنا

ولد عمر البنا في مدينة أم درمان عام 1900م وينتمي إلى أسره عريقةفي أم درمان هي آل البنا تعلم القرآن في خلوة والده الشيخ محمد عمرالبنا وفي مدرسته الأولية أيضاً ثم الأميرية بأم درمان فكلية غردون التذكارية، كان والده يرغب في إلحاقه بالكلية الحربية لكنه فضل العمل الحر فسافر إلى رفاعه ليشرف على أعمال والده في الزراعة والرعي وهم أساساً عرفوا بحبهم للقنص والصيد والعيش في البادية والمراعي.

بدأ مشواره الشعري على طريق والده الشيخ – محمد عمر البنا شاعر المهدية المعروف صاحب القصيدة الشهيرة التي جاء فيها.

الحربُ صبرٌ واللقاء ثبات

والموت في شأن الإله حياةٌ

- فبدأ أشعاره بالدوبيت ثم اتجه إلى الشعر الغنائي الرصين فكتب وعمره ثلاث عشرة عاماً كتب الرائعة

" زيدني في هجراني.. في هواك يا جميل العذاب سراني"

- وشارك في تلحينها مع كروان السودان كرومه، واشتهر بأنه (مخاطب النسيم) وقد أكثر من مخاطبة النسيم في العديد من أشعاره ومنها:

" نسيم الروض زورني في الماسيه وجيب لي الطيب.. من جناين آسيا.. زيل ألمي البي "

وقصيدة **" النسيم الفايح طيبو من رباك "**

- وقصيدة **" نسايم الليل زوريني "** والتي سُمي عليها برنامج (نسايم الليل) الذي كان يُقدمه كسهرة أسبوعية الفريق شرطه الراحل إبراهيم أحمد عبدالكريم، وكان من أوائل من سافروا إلى مصر لتسجيل أعمالهم الفنية وكتب في عام 1936م وهو في الطريق إلى القاهرة **" زهرة الروض الظليل جاني طيبك مع النسيم العليل.. زاد وجدي.. نوم عيني أصبح قليل "** وكتب **" أنا صادق في حُبك ".. وكتب " في الطيف أو في الصحيان زورني يا حبيبي أنا عيان ".**

تغني بروائع أبوصلاح وسجلها " وصف الخنتيله.. ويارربيع في روض الزهور عش منعم طول الدهور ".
ومن روائع ما كتب عمر البنا:

إمتي أرجع لأم در وأعودا

وأشوف نعيم دنيتي وسعودا.. إمتي أرجع لأم در وأعودا

إمتي تلمع بروق رعودا.. حظوظي تنجز لي وعودا

روحي ضاعت في النار قعودا.. لي هوّن يا رب عوده

أشوف حبيبتي وأنظر خدودا.. عساها ترحم تكون ودوده

مسامعي تسكر من ردودا.. وتطفئ ناري الفاتت حدودا

أشواق كتيره الدموع شهودا.. وللمنام العيون زهوده

في الهجر روحي ضاع مجهودا.. لم تزل حافظة لي عهوده

ما كانوا يعرفوا الناس بلودا.. الغرام من قبال ولوده

من يوم وضوعا الفي الخير خلودا.. فاتنه النفوس طايعه وجلوده

أبواب لقاها أم خدود موصوده.. ونار العذاب في الفؤاد محفوظه

غير محاسنك مين يسودا.. الملوك وياسر الأسودا

يا المن فراقك أيامي سودا.. خلاف وصالك دايماً كسودا

هناي ومنية روحي ومقصودا.. أشوف رشيم يضوي بين فصودا

- وقد تغني بهذه الأغنية الفنان العملاق صاحب الحنجرة الذهبية الذي أبدع وأجاد في آدائها بطريقه مذهله جعلتها تأسر مستمعيها حتى هذه اللحظة.وقد تغني عبدالعزيز محمد داؤود بالعود من أغنيات عمالقة شعراء الحقيبة فغناها بصوته المتفرد صاحب التدرجات المنوعة. وحتى وصفه البروفسير محمد عبدالله الريح بأنه يلحن الحروف وليس الكلمات ولا الأبيات إشارة لعمق آدائه واستخدام نبرات صوته المتنوعة في آداء أغنياته.كأغنية زهرة الروض الظليل وهات لينا صباح إلى جانب روائعه من العصر الحديث ومن كبار الشعراء الغنائيين وألحان المبدع الموسيقار الراحل برعي محمد دفع الله ولنا عوده مع هذا المطرب المتميز المحبوب.